حوار مع الشباب

١ - ٢

محمد صادق السيد محمد رضا الخرسان

حِوَارٌ مَعَ الشَّبَاب

١ - ٢

مُحَمَّد صَادِق السَّيِّد مُحَمَّد رِضَا الخِرسَان

هوية الكتاب

- **الكتاب:** حوار مع الشباب (١ - ٢)
- **الكاتب:** محمد صادق السيد محمد رضا الخرسان
- **الإخراج الفني:** أحمد الرصافي
- **المطبعة:** دار البذرة - النجف الأشرف
- **الطبعة:** الثانية
- **سنة الطبع:** ١٤٤٤هـ / ٢٠٢٢م

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على نبينا الصادق الأمين محمد وآله الطاهرين.

وبعد فهذه مجموعة أسئلة مع أجوبتها، اشتركت مع بعض طلاب مرحلة الإعدادية في تقديمها، وهي من ثمار لقاءٍ تبليغيّ، وحرصًا على تقديمها لمَنْ يرغب بقطفها، كانت الاستجابة لتقديمها، حتى يشترك القرّاء مع المتحاورين في الانتفاع منها.

وإنَّ ثمار الأفكار هذه ما كانت لتنضج لولا جهود المشتركين في هاتين الحلقتين وغيرها من الحواريات الشبابيّة، فالشكر لله ولهم جميعًا.

النجف الأشرف
عيد الغدير الأغر
١٤٤٣/١٢/١٨هـ/ ٢٠٢٢/٧/١٨م

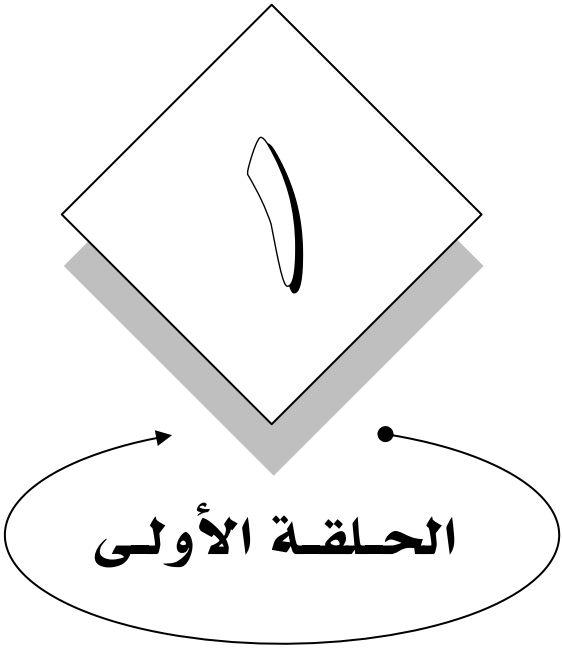
١
الحلقة الأولى

السـلام عليـكم ...

أرجـو لكـم جميعـًا التوفيـق والنجـاح، وأمـلي مـنكم الاهتمام بتحصيل العلم، وتحصين النفس، وحفظ الوطن والقِيَم، وحبّ الخير للجميع.

وإنَّ في الجـواب عـلى أسـئلتكم فرصـةً للتعريـف أو التـذكير بالحقـائق، بمـا يـديم الحـوار بيننـا حـول بعـض مـا يشغلكم في هذه المرحلة، التي تحتاج إلى تفاعلٍ من الجميع، بما يزيل ضبابية الرؤية، ويزيد الحق وضوحًا.

***

١ أما سؤال: (ما هو الله؟)

فالجواب: الله هو: موجِد المخلوقات بمختلف صورها وأحجامها ومعطياتها، والذي جعلها نسيجًا كونيًا واحدًا يدل على وحدة خالقه، وعلى علمه وحكمته وقدرته؛ إذ يستحيل وجود فعل بلا فاعل، أو سبب بلا مسبِّب، فلا بد عقلاً من وجود فاعل عاقل قد أوجد بإرادته المخلوقات، عبر ما خلَقَه من أسباب طبيعية للتكاثر؛ بما دلَّ على أنَّ خالقها واحد لا شريك له، والا فلو كان له شريك، لأعلن -الشريك- عن نفسه، ولأظهر وجوده، لكن ذلك لم يحصل طيلة الزمان، وبمختلف المكان، مع توافر وسائل الإخبار، وتجدد آليات الكشف عن الموجودات.

كما أنَّه لو لم يتصف بصفات العلم والحكمة والقدرة، لما تمكّن من خلق الكون بكائناته المتعدّدة، وفعالياتها المختلفة، التي دلّت على سعة علم خالقها، وكمال حكمته وقدرته؛ إذ لم يتمكّن جميع مَنْ أُدّعيت أُلوهيّته من خلق شيء أبدًا، وإنَّما لو أوجد شيئًا، فهو لم يوجده من العدم، بل يتصرّف بما أوجده الله، دون مَنْ سواه.

فينتج: أنَّ خالق الكون هو الله لا إله إلّا هو.

والدليل: استمرار عمل قوى الكون وقوانين الطبيعة فيه، واستقرارها على نمط أداءٍ منتظِمٍ واحدٍ بلا اختلاف به، فلو كانت آلهة متعددة لما استمر عمل الكائنات منتظمًا في مختلف الأزمنة والأمكنة، بل لاختلف

-ولو قليلاً-؛ لعدم توافق الشركاء دائمًا، إذ الاختلاف بينهم أمرٌ طبيعي عند تعدد مصادر القيادة.

فيُستنتج من انسيابية عمل الكائنات، وأدائها لأدوارها بانتظامٍ: إنَّ خالقها والمدبِّر لها، هو الله الذي عرّف نفسَهُ، بآثار وجوده الكاشفة عن قدرته، حتى تفرّد عن غيره بإبداعه لما خلَقْ.

ومن الواضح دلالة الأثر على وجود المؤثر؛ كما هو أسلوب العقلاء جميعًا في الاستدلال على وجود الأشياء.

***

٢ وأما سؤال: (لماذا خلَقَنَا الله؟)

فالجواب: قد خلَقَنَا لنعمل ما نختاره بإرادتنا، فنحصل على جزاء عملنا؛ لأنَّ الله تعالى لا يجازي أحدًا إلّا بما يتوافق مع ما عمِلَهُ، فإنْ كان عملاً صالحًا فيسمى جزاؤه بالثواب، وإنْ كان عملاً سيئًا فيسمى الجزاء عليه بالعقاب، وبذلك تكون ضوابط للثواب والعقاب، بحيث يتضح للإنسان أنَّ تحصيل الثواب مشروط بطاعة الله تعالى، وأنَّ العقاب للمقصّر الذي يتعمد المعصية ولا يتوب عنها، بما يدل على أنَّ الجزاء ليس منحةً تُعطى لأحد أو تمنع عن أحدٍ بلا قانونٍ ينظِّم ذلك، بل ينال العامل جزاء ما قدّمه بنفسه، ولا يتحمل عن غيره؛ ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾[1]،

(١) سورة المدثر، الآية ٣٨.

﴿يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾[1]؛ حيث لم يجبر الله المطيع على ممارسة الطاعة، كما لم يجبر العاصي على ممارسة المعصية، بل زوّد الإنسان بمجموعة برامج توضح له خارطة الطرق المؤدية إلى الطاعات أو المعاصي -الإيجابيات أو السلبيات-، ليكون الاختيار عن وعي وإدراكٍ منه لمعطيات هذه البرامج المزوّد بها، والتي هي عبارة عن عقل الانسان وأعضائه التي خُلقت له ولم يوجدها هو لنفسه، بل استعان بما خلَقَهُ الله له، وعرّفه بطريقة تشغيله للبرامج واستفادته منها؛ حيث عرَضَ أمامه لوحة معرّفات ليميّز من خلالها الصحيح من غيره، ثم أعطاه فرصة أنْ يقرر سلوك طريق الفوز أو غيره، بلا توجيه نحو اتجاه معين، وإنما أوضح للإنسان -من خلال الأنبياء والكتب السماوية- ما ينتج عن السير بهذا الطريق أو غيره.

فكانت للإنسان حرية الاختيار مع إرشادات ضامنة للسلامة؛ ولذلك قد تنوّع الناس إلى مؤمنين بالله وإلى غيرهم، فلو كان الله قد خلَقَنا ليجبرنا على خيارٍ محددٍ، لتوحّد الناس إما مؤمنين وأما غير مؤمنين، مع أنهم فئتان: فئة تعاملت مع إرشادات السلامة بجدية، وفئة أخرى قد أهملتها وتعاملت معها بسلبية، مع أنَّ اللازم عقلاً وعلى أساس حساب الاحتمالات، الأخذ بما قاله الفيزيائي والرياضي والفيلسوف الفرنسي بليز باسكال (١٦٢٣م-١٦٦٢م):

(مهما قلّت الدلائل على وجود الله، فإنَّ العقوبة التي تنتظر الاختيار الخاطئ هي أكبر.

---

(١) سورة النبأ، من الآية ٤٠.

أحكمُ الطرقِ هي الإيمانُ بالله؛ لأنك لو كنتَ مصيبًا فستربح النعمة الكبرى، ولو كنتَ مخطئًا فلن يكون هناك فرقٌ.

بينما إنْ لم تؤمن بالله، وكنتَ مخطئًا، فأنتَ محكومٌ للعنةٍ أبديةٍ، ولو كنتَ مصيبًا، فلن يكون هناك أيّ فرقٍ.

وعلى ذلك فالقرار لا يحتاج لذكاءٍ، عليك الإيمان بالله)[1].

وهذه النصيحة كان الإمامُ جعفر الصادق عليه السلام (ت١٤٨هـ/ ٧٦٥م)، قد سَبَقَ باسكال إليها قبل تسعمئة سنة تقريبًا، حيث قال في حوار له مع أحد الملحدين:

(إنْ يَكُنِ الأَمْرُ كَمَا تَقُولُ -ولَيْسَ كَمَا تَقُولُ- نَجَوْنَا ونَجَوْتَ، وإنْ يَكُنِ الأَمْرُ كَمَا نَقُولُ -وهُوَ كَمَا نَقُولُ- نَجَوْنَا وهَلَكْتَ)[2].

بما يجعل الانسان أمام مسئوليته في الاختيار، فيجب عليه التدقيق جيدًا في ما يسلكه من طريق؛ لأنه لا مجال للتراجع بعدئذ؛ لأنَّ الحياة تمضي، ولا يتوقف الزمان عند خطأ الاختيار.

ولتوضيح الجواب أكثر نختار المثال التالي:

عندما يتعلّم الطالب في المدرسة، سيتعرف على شروط التعليم من الوقت المحدد، ومتابعة الدروس، وتأدية الامتحان، وغير ذلك مما يقيّد

(١) النص منقول عن كتاب (وهم الإله)، ريتشارد دوكنز، ترجمة بسام البغدادي ١٠٦، الطبعة العربية الثانية.
(٢) الكافي، الشيخ الكليني ٧٨/١، ح٢.

تصرفاته، فينتظم بذلك ويؤديه؛ لأنه من ضمانات النجاح، وهو يرفض الفشل، فيتأقلم معه كبرنامج عمل يومي، ويؤدي فقراته؛ لأنه التزامٌ يحقق له طموحاته في النجاح، ويبعده عن الجهل، ولا يمنعه من ذلك كون التعلّم يقيّد المتعلم بساعات إنتاج، ويقلّص بعض العلاقات، بل يجده نظامًا لتطوير واقع الحياة.

وكذلك انتظام الإنسان بطاعة خالقه، إنما يكشف عن شكره للمنعم عليه بكل شيء، وهو دليلٌ على حُسنِ توظيفه لما حوله، ولو أدى ذلك إلى تقيّده ببعض القيود؛ لأنها تحميه.

فينتج: إنّ الله خلَقَنَا لنكسب رصيدًا ننتفع به عند إعلان النتائج.

وهو أسلوب معمول به في مختلف أنظمة العالَم المتحضر؛ حيث تكون فرص متساوية أمام الأشخاص، وعلى كل واحد أنْ يختار بنفسه ما يريد؛ ليُثبِتَ كفاءته؛ لأنَّ الدرجات ليست منحة، وإنما هي نتيجة لعملٍ، تم تقييمه وفقًا لأسس محددة، فحصل الإنسان على نتيجة عمله.

***

٣ أما سؤال: (إنْ كان الله يعلم الغيب، فلماذا خلَقَنَا وهو يعلم مَنْ في الجنة، ومَنْ في النار؟)

فالجواب: إنَّ علم الله تعالى بأحوال عباده، لا يمنع الإنسان عن استثمار الفرص والإمكانات المتاحة له في الحياة؛ لأنَّ الله تعالى لم يجبره على

شيءٍ بعينه، بل أوضح له خارطة الطريق الآمن، وزوّده ببرامج وأدوات تعينه على الوصول؛ ليختار بنفسه ما يريد، حتى يكون له ما للذي أحسن أو أساء الاختيار، وعندها فلا يلوم غيره على ما اختاره هو؛ إذ ليس دخول الجنة أو النار إجباريًا، والا كيف نفسِّر تنوّع الجزاء بين الثواب والعقاب؟، أو وجود جنة و نار؟، أو وجود مؤمنين وغيرهم؟؛ فلو كان علم الله بمَنْ يدخل الجنة أو النار، يجبرنا على الأفعال، لكنّا إما في الجنة أو النار، أو لما أمكننا تحويل المسار، مع أنّه ممكن جدًا؛ كما نشاهد -فعلاً- مَنْ يتغيّر حاله، من كسل إلى نشاط، أو بالعكس، فيتحوّل عمله وجزاؤه من شيء إلى شيء آخر؛ بما يؤكد أنَّ الله تعالى بعلمه بمصائرنا، لم يسلبنا الاختيار أو القدرة على التغيير، بل ما زال الانسان يتمكن من تحديد هدفه وتحقيق الوصول إليه، فعلينا تحديد ما نريد، ثم نعمل على إنجاز ذلك، ولا نسيء الاختيار، ثم نلوم غيرَنا.

فكلٌ من الجنة أو النار محطة يصلها الناس بسبب أعمالهم، وبحسب ما تترتب عليها من نتائج.

وللتوضيح نستعرض ما يلي:

أولاً: طلابٌ في مختلف مراحل الدراسة، وفرت لهم الإدارة فرصة التعلّم، وعليهم أداء الامتحان، فاستثمر بعضهم الفرصة واجتاز المرحلة بكفاءة؛ لأنه سعى للنجاح بعمله، وحققه فعلاً، بينما تكاسل بعضٌ آخر ولم يستفد من الفرصة حتى فاتته، فيكون هو -شخصيًا- قد سبّب بسوء عمله ما أوصله إلى الفشل، فلا يمكنه أنْ يلوم غيرَهُ على ما فعلَهُ هو.

ثانيًا: هاتفٌ أو غيره يعلم مَنْ اخترعه أو استخدمه بأنه قد يُساء استعماله، بحيث يتسبب في مشكلات، فهل يمنع هذا العلم من تداول الهاتف، والانتفاع منه؟، أم يلزم الحذر عند الاستعمال، والاقتصار على تفعيل الجانب الإيجابي دون غيره؟؛ لأنَّ تبعة الفعل على فاعله وليس على مخترعه أو مستخدمه الآخر الذي لم يُسئ استعماله.

وعلى هذا الأساس قد تعامل العقلاء في مختلف الزمان والمكان، وكافة فعاليات المجتمع المدنية والعسكرية، التعليمية أو المهنية؛ حيث التزم الجميع في أنظمة الترقيات العلمية أو المالية، والدرجات الوظيفية المختلفة، بألا يمنح أحدٌ شيئًا بدون عمل يؤهله لذلك، ولو حصل خلاف ذلك، كان تزويرًا والتفافًا على الواقع؛ ولذلك يحرص المُخالف على تبرير فعله وإظهاره بمظهر الحقيقة؛ وما ذلك التبرير للتزوير إلّا لأنَّ القانون العام كون العمل مقابل الجزاء، وهو نظام لم يتقادم بطول الزمان واختلاف المناخ، بل ما زال مقياسًا لتحديد الناجح من غيره.

فكما أنَّ المعلّم -لخبرته- يتوقع لطلابه النجاح أو غيره؛ لأنه وجد منهم ما يكشف عن صحة توقعاته، من دون أنْ تؤثر توقعاته على قرار الطالب نفسه، فكذلك لا يمنع علمُ اللهِ تعالى بمَنْ في الجنة أو النار، أحدًا عن تغيير مساره؛ لأنَّ اطلاع الله على عواقب الأمور ودرايته بها، لا يمثِّل ممارسة الانسان لما يعمله هو، بل ذلك شأن غيره، فيلزم فرز الأمور بدقة، وعدم تحميل أحد نتيجة فعل غيره.

٤ وأما سؤال: (إنَّ الله يعلم الغيب، والإنسان يرتكب المحرمات، فلماذا لا يسمح للإنسان بارتكاب المحرّمات؟)

فالجواب -إنْ قصَدَ السائل فعلاً: (**لماذا لا يسمح للإنسان...**)-: بأنَّ الله قد حذّر الانسان من المحرّمات؛ لأنَّ ارتكابها مخالفة للقوانين الشرعية التي يفترض بالإنسان أنه أقدم بإرادته على تطبيقها، فكيف يخالف ما التزم به على نفسه، مع أنه عاقل غير مجبور على أمرٍ محددٍ، بل لا بد أنْ يلتزم الإنسان بإرادته الكاملة، لكي يستحق الجزاء على عمله، وإلا لما انتسب إليه العمل، بل كان آلة يسيّره غيرُهُ، مع أنَّ الله لم يجعله آلة؛ بعدما خلَقَ له العقل والأعضاء التي يمكنه تفعيلها إيجابيًا فيُثاب، أو سلبيًا فيعاقب.

وإنْ قصَدَ السائل: (**لماذا يسمح للإنسان...**)، لكن اشتبه إذ كتَبَ لا يسمح، فالجواب: بأنَّ الإنسان غير مجبور على أفعاله؛ إذ جميع الخيارات مفتوحة أمامه، فعليه التحكّم جيدًا؛ لئلا يتورط بمخالفة ما قرر -هو بنفسه- الالتزام به، ثم يلوم غيره، ويقال لماذا سُمح له بالمخالفة؛ مع أنَّ المخالفة قراره الشخصي الذي لم يجبر على اتخاذه.

***

٥ وأما سؤال: (ذُكِرَ في القرآن أنَّ السماء تسقط على الأرض، فكيف تسقط السماء الكبيرة على حبة غبار مثل الأرض؟)

فالجواب: لم يُذكر سقوط السماء، وإنما المذكور ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ

أَوۡ نُسۡقِطۡ عَلَيۡهِمۡ كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ۝٩﴾[1]؛ وهو استدلالٌ على وجودِ خالقٍ للسماء والأرض، يتضمن تحذيرًا من عقوبة المعاندين؛ بعد وضوح الدلائل لهم على وجود الإله القادر المدبِّر لما خلق، وأنَّ هذه المخلوقات المختلفة لم توجد صدفة، وإلا لما دامت بهذه القوانين الكونية الدقيقة، التي لم يستطع أحد تغييرها أو اختراقها، بل حتى مكتشفات الباحثين حولها، هي جهود بشر قد خلقهم خالق السماء والأرض نفسه، ولم يوجدوا أنفسهم، بما يدل على وجود الخالق وهو الله تعالى الذي يُستدل على قدرته بأنه لو أراد القضاء على المعاندين لخسف بهم الأرض، أو لأسقط عليهم قطعة من السماء؛ ليكون -الخسف أو الإسقاط- عِبرة لهم ودلالة على قدرة الله على إعادة الخلق بعد الموت ومحاسبتهم على أعمالهم، فيكف المعاندون عن إنكارهم التوحيد والمعاد.

ومن الواضح أنَّ خالق السماء بأفلاكها وقوانينها وأنظمتها، قادرٌ على تجزئتها وإسقاط بعضها، فلا عجب في ذلك؛ لأنَّ السائل ينطلق في تساؤلاته من واقع ما يعيشه في الدنيا والعالَم المادي، فيستغرب من ذلك أو يستبعد وقوعه، بينما هناك عالَمٌ آخر لا تحكمه قوانين الفيزياء هذه التي تحيط بعالَمِنا المادي على الأرض في هذه الدنيا.

***

(١) سورة سبأ، الآية ٩.

٦ وأما سؤال: (كيف ثبت وجود الإمام المهدي في القرآن؟)

فالجواب: قد ثبت من خلال تأكيد المختصين الذين فسروا بعض الآيات بذلك، وإنما يُكتفى في الإثبات بما رواه المفسرون؛ لأنَّ القرآن الكريم كتاب لا يتكفل بذكر التفاصيل، بل أرجع في معرفتها إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم؛ إذ قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[1]، فلا بد من الرجوع إليه في ما لم ينص القرآن الكريم عليه؛ لأنه المؤتمن على أداء رسالة الله لعباده؛ وقد أتانا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (**إنَّ خلفائي وأوصيائي وحجج الله على الخلق بعدي اثنا عشر: أولهم أخي وآخرهم وَلدي**، قيل: يا رسول الله ومَنْ أخوك؟ قال: **علي بن أبي طالب**، قيل: فمَنْ وَلَدُك؟ قال: **المهدي الذي يملأها قسطًا وعدلاً كما مُلئت جورًا وظلمًا، والذي بعثني بالحق نبيًا لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد، لطوّل الله ذلك اليوم حتى يخرج فيه ولدي المهدي، فينزل روح الله عيسى بن مريم فيصلي خلفه، وتشرق الأرض بنوره، ويبلغ سلطانُهُ المشرقَ والمغربَ**)[2]؛ ليتحقق ما وَعَدَ الله به حيث قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ

---

(١) سورة الحشر، من الآية ٧.

(٢) كمال الدين، الشيخ الصدوق ٢٨٠ رقم ٢٧، مؤسسة النشر الإسلامي - قم ١٤٠٥هـ، فرائد السمطين، إبراهيم الجويني الشافعي ٣١٢/٢، رقم ٥٦٢، دار الحبيب ١٣٢٨هـ، ينابيع المودة، الشيخ سليمان القندوزي الحنفي ٣٨٣/٣-٣٨٤، دار الأسوة ١٤١٦هـ.

يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾[١]؛ فهو وعدٌ إلهي لم يتحقق -لحد الآن- بحيث ورث الصالحون جميعَ الأرض، ولنْ يُخلف اللهُ وعدَهُ، فإما أنْ يتحقق على يد الإمام المهدي عليه السلام؛ كما بشّر به جدُّهُ رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ لينتصر مشروع العدالة الإلهية في الأرض، وإما أنْ يتحقق على يد غير الإمام المهدي عليه السلام، وهو خلاف ما رواه المسلمون كافة؛ فقد جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴾[٢]: (إنَّ جميع ملوك الدنيا كلها أربعة: مؤمنان وكافران، فالمؤمنان سليمان بن داود وإسكندر، والكافران نمرود وبختنصر، وسيملكها من هذه الأمة خامس لقوله تعالى: ﴿لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾؛ وهو المهدي)[٣]، (وقال السدي: ذلك عند خروج المهدي لا يبقى أحدٌ إلّا دخل في الإسلام وأدّى الخراج)[٤].

---

(١) سورة الأنبياء، الآية ١٠٥، (قال أبو جعفر عليه السلام: **هم أصحاب المهدي عليه السلام في آخر الزمان**؛ كما يدل ما رواه الخاص والعام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: **لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد، لطوّل الله ذلك اليوم حتى يبعث رجلاً صالحًا من أهل بيتي، يملأ الأرض عدلاً وقسطًا، كما قد مُلئت ظلمًا وجورًا**، وعن أم سلمة قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **المهدي من عترتي من ولد فاطمة عليها السلام**)، مجمع البيان، الشيخ الطبرسي ١٢٠/٧، مؤسسة الأعلمي– بيروت ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

(٢) سورة التوبة، الآية ٣٣.

(٣) تفسير القرطبي ٤٧/١١- ٤٨، دار إحياء التراث العربي – بيروت ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

(٤) البحر المحيط، ٣٤/٥، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢٢ - ٢٠٠١م.

فينتج: إنه الإمام المهدي عليه السلام؛ لأنَّ جميع المدّعين لذلك قد اتضح بطلان دعاواهم؛ إذ عجزوا عن إثبات صدقهم بالبرهان.

***

وأما سؤال: (بمَنْ تزوّج قابيل وهابيل، وقد كانا من عائلة واحدة؟)

فالجواب: قد تزوّجا بحوريتين أنزلهما الله تعالى إليهما من الجنة؛ والله على كل شيء قدير؛ كما دلّت على ذلك براهينُ قدرته سبحانه؛ التي منها: أنْ خلق أباهما آدم عليه السلام من تراب، بما يعوّضنا عن افتراض جوابٍ آخر يتعارض مع فطرة البشرِ وطبعه الإنساني، ومعه فلا نتوقع أنْ يحلله تشريع سماوي.

***

وأما سؤال: (ما أسباب تحريف التوراة والإنجيل؟، وهل توجد النسخ الأصلية؟، وكيف نثبت أنها محرّفة؟)

فالجواب: إنَّ أهم أسباب تحريفهما: الحرص على إخفاء الحقائق الدينية وإبقاء المنافع الدنيوية؛ لأنَّ الناس لو عرفت ما بشّر به الأنبياء عليهم السلام من بعثة نبي آخر الزمان، لاختاروا الإسلام، وعندها فتقل مصادر تمويل المنتفعين؛ ولذا عملوا على ترويج نسخ من العهدين متنافية متعارضة، يتعذر إسنادها إلى النبيين موسى وعيسى عليهما السلام؛ لعدم

تواتر نقلها بما يوجب اليقين في جميع طبقات الناقلين، بل قد اختلفت ترجمات النص الواحد؛ كما وثّق ذلك كله الباحثان المتخصصان الشيخ رحمة الله بن خليل الرحمن الهندي في كتاب إظهار الحق -الباب الثاني: في إثبات التحريف- ٤٢٥/٢ وما بعدها، والشيخ محمد جواد البلاغي في كتاب الهدى إلى دين المصطفى ٥٦/١ وما بعدها، ٤٩٩/٢ وما بعدها؛ حيث قدّما دراسة نقدية، في بحوث موضوعية؛ قارنت بين الترجمات المتعددة للعهدين، فأوضحت وقوع التحريف، الذي لم تسلم منه إلّا النسخ الأصل التي نعتقد أنها ليست بمتناول الأيدي، وإنما ستظهر لاحقًا مع باقي مواريث الأنبياء عليهم السلام.

***

٩ وأما سؤال: (من أين وُجد الله؟، أو مَنْ خلَقَهُ؟)

فالجواب: إنَّ أساس السؤال قائم على افتراض مماثلة الخالق للمخلوق، وأنَّ للخالق خالقًا.

وهذا مجرد افتراض لا واقع له، لأنَّه لا يمكن أنْ يتساوى حكم واجب الوجود مع حكم ممكن الوجود، وذلك لوجود الفرق بين الموجود بذاته لذاته، وبين المحتاج في جميع حالاته لغيره، فلا يمكنه إيجاد نفسه، ولا الاستمرار بوجوده، إلّا إذا أوجده غيره.

وهنا يُسأل عن هذا الغير، هل هو الله، أو غيره؟.

فإنْ كان هو:

١- الله؛ لأنَّه الذي دلّت البراهين على أنَّه الإله الخالق، فيثبت أنَّه ليس مخلوقًا حتى يسأل أحدٌ عن خالقه، إذ هو خالق، فلا نظير ولا شبيه له، لأنَّ وجوده بذاته، لا بإيجاد غيره له، فهو مستغن بذاته عن غيره، وموجود بذاته، ولم يكتسب صفاته من غيره، لأنَّها صفات موجودة بقِدم وجوده، بحيث لا نتصوّر خلوه منها، كما نتصوّر خلو الإنسان -مثلاً- من صفات العلم والقدرة والحياة، ثمّ يتجدّد اتصافه بها، وبعد ذلك يجهل ويعجز ويموت.

وعليه فالفارق واضح جدّاً وجوهري بين واجب الوجود، وهو الله، وبين غيره من ممكن الوجود، وهو غير الله، أعني جميع المخلوقات، التي لم توجد أنفسها، ولن يستمر وجودها إلّا بإيجاد الله وخلقه لها؛ لأنَّه القادر العالِم بذاته، دون غيره.

٢- غير الله، فما الدليل على وجوده وخالقيته؟، ولا بُدَّ لمَنْ يدّعي وجود خالق غير الله أنْ يثبت ذلك بالدليل، وهو ما لم يحصل طيلة عمر البشريّة كلّها؛ إذ:

أ- لم تُسجّل ولا حالة واحدة أنْ ادّعى أحدٌ اقتداره على خلق هذا الكون، بجميع ما فيه من مخلوقات محسوسة وغير محسوسة، على اختلاف أصنافها وأحجامها وأدوارها في الحياة، وفي مختلف أزمنة وجودها وأمكنتها في هذه الدنيا.

ب- لم يثبت بدليل علميّ بأنَّ الصدفة أو المادة الأزليّة هي الخالق، بل تتنافى هذه الآراء التي تنسب الخلق إلى الصدفة ونحوها مع دلائل قدرة خالق الخلق، التي أودعها في مختلف مخلوقاته:

كالحمض النوويّ، والبصمة الوراثية في الإنسان.

أو حركة الرياح وتغيّرها من حارّة إلى باردة وبالعكس، واختلاف سرعتها، وما ينتج عنه من تكوّن الغيوم ونزول الأمطار، بل الثلوج.

أو تنوّع أشكال الحيوانات وصورها، ووسائل دفاعاتها عند استشعارها الخطر.

أو تعدّد أنواع النبات وأحجامها وخصائصها.

أو غير هذه كلّها ممّا يقرأه المتأمل في مناظر الطبيعة، فيستنتج منه بأنَّ عمليّة الخلق ليست وليدة صدفة ونحوها، بل قد جاءت عن تخطيط ومتابعة دقيقين، تعجز الصدفة عن إيجاد بعضه.

والذي يصدِّق بقدرة الصدفة ونحوها على الخلق، كالذي يصدِّق بإمكان حصوله على جهاز أو كرسي -مثلاً- من دون مصمّم صانع له.

فإذا لا يقتنع عاقل بوجود ذلك تلقائيًا، كذلك لا يقتنع بالرأي القائل بقدرة الصدفة أو المادة الأزليّة على الخلق.

وذلك لما يحسّه من عجز الصدفة أو المادة الأزليّة عن تكوين جزء -ولو صغير- لكائن حيّ، أو صنع غشاء للجنين، وغيرهما ممّا يؤكّد بأنَّ الخالق

هو الله الذي خلق الإنسان، وأقدره على التفكير وتحقيق الإبداع، حتى تمكّن من إنجاز قفزات علميّة كثيرة.

لكنّه يعجز عن فهم كلّ شيء من أسرار الخلق، وهو ما يدلّ على محدوديّة المخلوق واتساع الآفاق العلميّة الدالّة على قدرة الخالق وعلمه، وأنّه ليس كمثله شيء.

وهذا ما يعني وحدة الخالق، ويلغي فرضيّة وجود إله خالق غير الله؛ إذ لو كان لاتضح أمره؛ لأنَّ الدواعي والموجبات كثيرة لإعلان وجوده، والكشف عن صفاته، لكنّه لم يحصل أصلاً.

وقد أشار أمير المؤمنين عليه السلام إلى هذا الدليل العقلي بقوله:

(لَوْ كَانَ لِرَبِّكَ شَرِيكٌ لأَتَتْكَ رُسُلُه، ولَرَأَيْتَ آثَارَ مُلْكِه وسُلْطَانِه، ولَعَرَفْتَ أَفْعَالَه وصِفَاتِه.

ولَكِنَّه إِلَه وَاحِدٌ كَمَا وَصَفَ نَفْسَه، لَا يُضَادُّه فِي مُلْكِه أَحَدٌ، ولَا يَزُولُ أَبَدًا ولَمْ يَزَلْ)[1].

فتبيّن أنَّ السؤال عمَنْ خلق الخالق غير صحيح علميّاً؛ لأنَّ الخالق هو مسبّب الأسباب، التي يستحيل وجودها بذاتها من دون المسبّب، وهو المؤثّر في وجود الآثار، حيث يستحيل وجودها من دون مؤثّر.

وذلك لأنَّه يجب -عقلاً- وجود علّة للمعلول، لتؤثِّر في وجوده خارجًا.

---

(١) نهج البلاغة، الشريف الرضي ٣٩٦، رقم ٣١، بيروت ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.

وهذا يعني:

أولًا: لزوم انتهاء عمليّة الخلق إلى خالق قادر على ذلك بنفسه، لا أنَّه يكتسب قدرته من غيره.

ثانيًا: استحالة تسلسل العلل إلى ما لا نهاية، أي بقاء العلل إلى ما لا نهاية؛ لأنَّ تصوّر "ما لا نهاية" مستحيل -عقلاً-، فلا يمكن التصديق بحصوله.

وعليه فالله هو خالق الخلق من العدم، الذي أوجده وأتقن صنعه، وأبدع فيه، بما لا يصح معه قياس الخالق على مخلوقاته، حتى يتولّد السؤال عمَنْ خَلَقَه؛ وذلك للفرق الواضح بين الخالق والمخلوق، بما يكون من الطبيعي احتياج الخلق إلى الخالق؛ كاحتياج السبب في وجوده إلى المُسبِّب، واحتياج الأثر في حصوله إلى المؤثِر.

كما يستحيل أنْ تقتدر الطبيعة على خلق شيء، لكونها هي محتاجة في وجودها وسائر صفاتها إلى خالقها، وهو الله؛ إذ لم توجد بنفسها، بل أوجدها الذي خلقها بهذا النسق من الجمال والكمال، من جميع ما فيها من خصائص، يعجز عن إيجادها غير الله؛ لأنَّه وحده المستغني عن غيره، والذي يحتاج غيرُهُ إليه؛ إذ لن يستغنِ أحدٌ -مهما كان- عن طاقاته العقليّة والعضوية، بحيث لو تعطّل شيءٌ منها، لم يستطع الإنسان تعويضها بمثلها المطابق لها تمامًا.

بل أقصى ما تمكّن التطوّر من تقديمه للبشريّة، إنَّما هو صنع ما يحاكي تلك الطاقات ويشبهها في بعض خصائصها، كالأعضاء الصناعية، التي لم تستوعب جميع ما خلقه الله؛ إذ عجزوا عن محاكاة بعض أجزاء العين، وغير ذلك ممّا يبقى شاهدًا على قدرة الله تعالى وعظمته.

فقد أوجد الإنسانُ العاقلُ إنسانًا آليًا، لكنّه عجَزَ عن جعل الآليّ عاقلاً متحركًا بإرادته، وإنَّما أقصى ما بلغه هو تصميمه ليستجيب عند التحكّم به بالريموت كونترول.

وهذا دليل على عدم القدرة الذاتيّة، بل هو أداة بيد غيره؛ كالأجهزة الأخرى.

فقياس الخالق على الخلق، قياس مع الفارق؛ كالفرق بين المستغني بذاته والمحتاج لغيره.

ومن المؤكد أنّه لا يصح أنْ ننفي وجود ما لم نشاهد؛ لأنّا نعرف وجود الفرح أو الألم أو الكهرباء أو العقل، مع أنها موجودات غير مشاهدَة، لكن عرفنا أنها موجودة من خلال آثارها وجدانيًا أو عضويًا؛ ولذلك فلا يصح علميًا نفي ما لم نبصر؛ لأنَّ التعرّف على ما حولنا غير منحصر بمشاهدتنا البصرية له، بل يوجد خيار آخر وهو التأثر بآثار وجوده، لنقول أنه موجود.

***

وفي الختـام ...

هذه مجموعة أفكار انتظمت عند الإجابة على أسئلتكم -أعزائي-، وهي خطوة في مسيرة التكامل المعرفي، فإنْ أعانتكم على فهم الحقائق فهو الأمل، وإنْ وجدتم حاجة إلى مواصلة الحوار، فأرحب بذلك؛ لأنّا طلابُ علمٍ نتكامل بالحوار الهادف، لنتعرف على الصحيح، ولا نقضي العمر في تجارب غير منتجة، أو ردود الأفعال.

دمـتم بخـير

العراق - النجف الأشرف،
١٤٤٠/٥/٢٢هـ، ٢٠١٩/١/٢٩م.
محمد صادق الخرسان

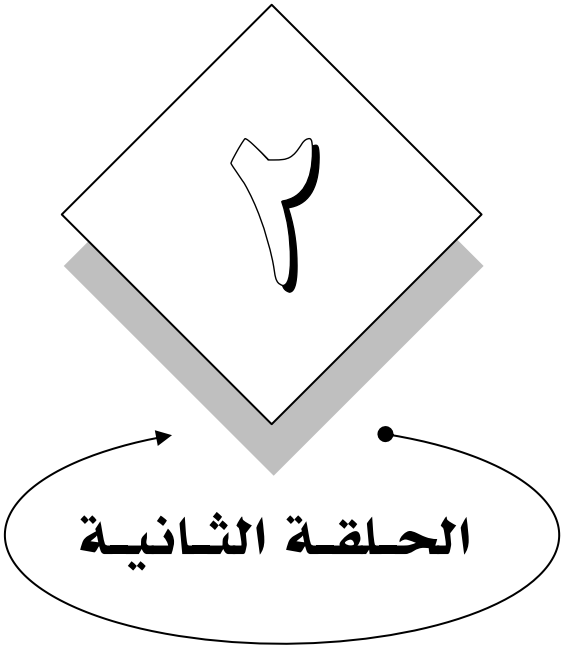
٢
الحلقة الثانية

١٠ وأما سؤال: (من أين يأتي الله بهذه النِعم؟)

فالجواب: إنَّ الله تعالى هو الذي يخلق هذه النِعم؛ لأنه قادر على كل مقدور، ولا يعجز عن أنْ يخلق ما يشاء من هذه النِعم وغيرها من أصناف مخلوقاته.

لأنَّ الله غني بذاته، بمعنى أنه لا يحتاج إلى غيره أصلاً، لكن غيره يحتاج في أصل وجوده واستمرار بقائه إلى الله تعالى.

فأصل السؤال ينطلق من عدم التفريق بين صفات المخلوقين وصفات الخالق، وهذا خلاف الواقع؛ إذ يوجد اختلاف جوهري بين قدرة الله تعالى التي هي ذاتية أي غير مكتسبة من أحد، وبين قدرة المخلوق التي هي مكتسبة له؛ حيث لا يقدر على شيء مطلقاً، إلّا إذا أقدره الله تعالى على ذلك.

فالفرق واضح بين الغني والمحتاج؛ ولذلك نجد الإنسان كثيرًا ما يصمم على فعل شيء، لكنه لا يفعله مع أنه مريد لفعله، وما السبب في ذلك إلّا لأنَّ الإنسان مهما كانت قدرته فهو عاجز بذاته إلّا أنْ يُقْدِرُهُ اللهُ تعالى، فهو بذاته فاقدٌ للقدرة.

لأنه ممكن الوجود، فيحتاج إلى واجب الوجود وهو الله تعالى، الذي ليس كمثله شيء، الغني القادر المقتدر بذاته.

***

١١ وأما سؤال: (ما هو هدفنا بعد الجنة؟)

فالجواب: إنَّ الجنة هي مرحلة جني الثمار وحصاد ما قدّمه الإنسان في حياته الدنيوية؛ حيث كان عليه أنْ يعمل بما أوجبه الله تعالى عليه وترك ما نهاه عنه، ثم بعدما انتقل إلى حياته الأخروية، فإنه ينتظر إعلان النتائج، إما النجاح والفوز بالجنة، وإما عكس ذلك.

فأصل السؤال قائم على افتراض استمرار مرحلة العمل، لكن قد انتهت بموت الإنسان، وقد ابتدأت مرحلة ما بعد العمل، فلا بد للإنسان من إدراك هذه الحقيقة، ليكون واعيًا لمتطلبات مراحل حياته، ولا تضيع عليه فرصُ التصحيحِ والتدارك.

إذ عليه في الدنيا أنْ يسأل عما يعمله في كل مرحلة من مراحل عمره، ولا ينشغل بالسؤال عما يعمله بعد الجنة؛ لأنه إذا دخل الجنة، فهو كالناجح في دراسته أو عمله، سيلازمه النجاح، ولا يتغيّر حاله عنه؛ ولذا فلا يَسأل المُتخرّجُ من مرحلته الدراسية، عما يعمله بعدها؛ لعلمه بوصوله إلى هدفه، وأنها مرحلة الاحتفاظ بالمكتسبات وما أنجزه، وليست مرحلة الإضافة؛ إذ تجاوز مرحلة العمل إلى مرحلة الجزاء على العمل.

قال الله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ﴾[1].

***

١٢ وأما سؤال: (كيف نردّ على المُشكلين علينا بهذا الزمان بخصوص قضية التوحيد والإمامة والتقليد والشعائر الحسينية وقضايانا العقائدية التي نرتكز عليها ؟، وما هي المصادر التي تنصحونا بالاطلاع عليها سواء كانت نصيّة أو إلكترونية، ومشاهدة قنوات على اليوتيوب؟)

فالجواب: إنه في البداية لا بد من إخلاص النية لله تعالى بتوضيح ما سأل عنه السائل، ثم التحلّي بسعة الصدر، والاهتمام بتحصيل المعلومة الدقيقة من مصادرها الموثوقة، وتقديمها بأسلوب يناسب مستوى المتلقي؛ حتى يتمكن من التفكير بالأجوبة، فيتجه نحو تحديث معلوماته وإعادة ترتيبها وفقًا لما تلقاه من معلومات تستند إلى المصادر الرصينة، وعدم المعاندة في الإذعان للأدلة.

ومن الواضح عدم تساوي القضايا المذكورة في السؤال، فتحتاج إلى اتباع وسائل إقناع متعددة؛ من براهين عقلية، أو أدلة وجدانية أو نقلية، بحسب ما تفرضه حالة المتلقي وما يحتاجه من طرق للاستدلال.

---

(١) سورة الرعد، الآية ٣٥.

ومن الضروري الاطلاع على مؤلفات: الشيخ محمد جواد البلاغي، والشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء، والسيد عبد الحسين شرف الدين، والإخوة الثلاثة الشيخ محمد حسن والشيخ محمد حسين والشيخ محمد رضا المظفر، والشيخ محمد جواد مُغْنية، والشيخ محمد حسن آل ياسين.

لأدوارهم الكبيرة في توضيح الأسس والمرتكزات الفكرية للموضوعات التي تناولتها مؤلفاتهم في مختلف مجالات المعرفة؛ فهي رصيد نافع، وحلقة رابطة بين جهود الشيخ المفيد والسيد المرتضى والشيخ الطوسي والمحقق الحلي والعلّامة الحلي، وبين منجزات المتأخرين المعاصرين.

ومن المهم جدًا عدم الاكتفاء بالكتابات المعاصرة، من دون مطالعة ما سبقها؛ لأنَّ التجربة قد كشفت عن أنَّ ما يُثار من شبهات معاصرة، هي إعادة إنتاج لما أجاب عنه علماؤنا السابقون من إشكالات أو أسئلة؛ كما بيّنتُ ذلك في كتاب التوحيد[1].

فضلاً عما تقدّمه مطالعةُ الكتابات السابقة، من خبرات متراكمة تمثِّل ثروة فكرية، يمكن توظيفها في زماننا، مع تحديث طريقة العرض المناسب.

وهذا ما يوفر الجهد والوقت، كما يعرّف المتأخر بدور المتقدم عليه في طريق العلم والمعرفة، فلا يُصاب أحدٌ بالغرور، ولا يجرأ على إدّعاءات الابتكار مع أنه ليس له إلّا إعادة الانتاج بشكل غير دقيق.

---

(١) ينظر: التوحيد، محمد صادق الخرسان، الطبعة الثالثة ٥٣، ٩١-٩٢.

١٣ وأما سؤال: (كيف نعلم أننا نسير على الصراط المستقيم؟، أي كيف نثبت أنَّ العقيدة التي نؤمن بها صحيحة؟)

فالجواب: نعلم بذلك من خلال اتباعِنا الدقيق لإرشادات الخبير المختص؛ كما هو حالنا عندما نبدأ دراستنا في مرحلة معينة، فكيف نعلم بأننا على الطريق الصحيح؟، أليس من خلال اتباعِنا لتوجيهات القائمين على تعليمنا وتدريسنا، والتزامنا بأداء الامتحان وحرصنا على إحراز النجاح.

كذلك مَنْ يتبع:

أ- دلالة العقل على أنه يلزم الإنسان أنْ يشكر المُنعم عليه، وأنْ يجتنب الضرر حتى لو كان محتملاً غير متيَقن به، فيعمل بذلك أي أنه لمّا عرف بأنَّ الله تعالى منعم عليه بنِعمٍ يعددها ولا يتمكن من إحصائها، فإنه سيشكره بامتثال أوامره وترك ما نهى عنه.

ليتجنب بذلك ضرر العقاب لو لم يمتثل الأوامر ويترك النواهي.

ب- قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[1]؛ فيعمل بما آتاه به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وينتهي عما نهاه عنه.

فإنه سيعلم بأنه في المسار الصحيح، متجهًا إلى الهدف؛ حيث اتبع الخطوات المطلوبة، ولم يهملها تعمّدًا، فيحصل على ثواب اتباعه للخطوات،

---

(١) سورة الحشر، من الآية ٧.

وهذا ما لا يوجد عندما يبدأ التحضير لأداء الامتحان لإحراز النجاح؛ حيث لا يعطى درجات على ذلك، وإنما له درجات على أجوبته الصحيحة.

لكن الله تعالى يشجع عباده على الاستقامة فيعطيهم ثوابًا على التزامهم بالتوجيهات، بل وعلى إرادتهم للطاعة وعدم المعصية.

وهذا فرقٌ مهمٌ بين المنهج الإلهي في التعامل مع العباد والحث على التفاعل مع عروض النجاح، وبين منهج الإنسان في تعامله مع الإنسان.

وسيبقى الفرق بينهما مهما حاول الإنسان أنْ يتعلّم من المنهج الإلهي؛ لأنه فرق بين المحتاج والغني، وبين العاجز والقادر.

وإنَّ دوام متابعة الإنسان لنفسه، وتقييمه لأدائه، كفيل باطلاعه على نقاط القوة والضعف في ذلك؛ ليستمر في مسيرته، وليتمكن من إثبات صحة عقيدته التي يؤمن بها، عندما يحاوره أحدٌ حول ذلك.

***

١٤ وأما سؤال: (ما هي المعلومات الأساسية التي إذا اكتسبناها يمكننا الرد بها على أي معارض أو مشكك مهما كانت صيغة سؤاله)

فقد اتضح جوابه ممّا تقدّم في ١٢ - ١٣.

***

١٥ وأما سؤال: (ذكر في القرآن الآية: "تبارك الله أحسن الخالقين"، فهل يوجد خالقون آخرون غير الله ليكون الله عزّو جلّ أحسنهم؟)

فالجواب: إنَّ المذكور في القرآن الكريم من الآية المباركة هو كالتالي: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾[1]، ومن الضروري مراجعة النص والتأكد منه قبل نقله؛ حتى لا يوجب تحريفاً للكلام، ولا تضييعاً للمراد.

لأنَّ الاطلاع على تمام الآية وسياقها، كفيل بتوضيح أنه مهما بلغت قدرة الإنسان على الإبداع والإنجاز غير المسبوق، أو على التحدي، لكنه عاجز عن خلق شيء -مهما كان صغيرًا- من العدم، بحيث يوجده بعدما كان معدومًا تمامًا.

إذ قد يقدر المخترِعُ على استعمال مواد أولية موجودة، وتجميعها بطريقة معينة، ليقدّم منها شيئًا معينًا، وهو على أهمية اختراعه، وتقديرنا لمنجزه، وتشجيعنا للمبدعين، لكنه إنما وظّف خصائص المواد الأولية، التي قد أوجدها الله تعالى فيها، ولم توجد صدفة، وإلّا فكيف اختلفت خصائص المواد والأشياء؟، ولماذا لم يقدر الإنسان على تغيير القوانين الكونية الثابتة، المتجسدة في خصائص ما يعتمد عليه في ابداعاته؟.

وعليه فليس دور الإنسان الذي أوجد شيئًا واخترعه، إلّا كالذي يستعمل

---

(١) سورة المؤمنون، من الآية ١٤.

المواد الجاهزة، ويصنّعها في القالب المناسب له، فهو مستهلك للمنتج الموجود، وليس بموجدٍ للمعدوم؛ لأنَّ هذا المستوى من الإيجاد لن يقدر عليه سوى الله تعالى.

فحتى لو جاز أنْ يوصف المخترع -لغويًا- بالخالق، لكنه لن يساوي أحسن الخالقين -وهو الله تعالى- بمستوى القدرة.

وذلك للفرق الواضح بين الذي أوجد المواد الأولية الكونية، بمختلف ما فيها من خصائص ومنافع، وبين الإنسان الذي يُبدع في استعمالها فقط.

وإنَّ أوضح مثال على ذلك، هو خَلْقُ الإنسانِ نفسِهِ من العدم، وما يمرَّ به من مراحل تكوينه وصولاً إلى أنْ تكون فيه الروح.

حيث ما استطاع أحدٌ -طيلة الأزمنة وبمختلف وسائل التطوّر- أنْ يتمكن من صنعِ جزءٍ طبيعي في جسم الإنسان، كما لم يعرف سرّ الروح و لا تمكن من فك شفرتها ومعادلاتها العلمية.

فالإنسان عاجزٌ عن ذلك، والله تعالى هو القادر المقتدر، فكان هو أحسن القادرين، دون العاجز بذاته عن إنجاز ذلك كله، وهل يتساوى القادر بذاته مع العاجز بذاته؟!.

وقد صوّرت الآيات الكريمة التالية ذلك كله، بأسلوب رائع يحث المتلقي على التفكر، ويدعوه إلى عدم الانسياق بالرفض قبل التدبر؛ فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً

فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾[1].

فلا يوجد خالق قادر بذاته إلّا الله تعالى، وأمّا غيره فيستمدّ في أصل وجوده وقدرته من اللّه تعالى، وهذا الاحتياج من دلائل قدرة اللّه سبحانه وأنه الخالق حقيقةً دون سواه مهما تطوّر العقل البشري.

***

١٦ وأما سؤال: (لماذا لم يحفظ الله بقية الكتب السماوية كما حفظ القرآن؟)

فالجواب: إنه قد قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾[2].

وهو ما يؤكد بأنَّ المؤتمنين على حفظ الأمانة قد أخلّوا بحفظها، ولم يؤدّوا ما عليهم من ذلك، بما يعني حدوث الخلل من البشر، وليس لعدم

(١) سورة المؤمنون، الآيات ١٢ - ١٤.

(٢) سورة المائدة، الآية ٤٤.

حفظ الله للكتب السماوية، لأنَّها محفوظة كما نعتقد؛ إذ هي من تراث الأنبياء الذي انتقل إلى النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، ومن بعده إلى الأئمة الاثني عشر عليهم السلام.

فهي محفوظة كالقرآن الكريم؛ لأنَّها جميعًا كتب سماوية، إلّا أنَّ بعض الأحبار والرهبان قد كَتَبَ نسخًا محرّفة منها، و(يبلغ عددُ الكتَبَةِ المُلْهَمين الذين اشتركوا في كتابة أسفار الكتاب المقدّس أكثر من أربعين كاتبًا من مختلف طبقات البشر)[١].

(وترجع أقدم النسخ التي لدينا من الأناجيل الأربعة إلى القرن الثالث، أما النسخ الأصلية فيبدو أنها كتبت بين عامي ٦٠ – ١٢٠م، ثم تعرضت بعد كتابتها مدى قرنين من الزمان لأخطاء في النقل، ولعلها تعرضت أيضًا لتحريف مقصود)[٢].

كما جاء بعنوان "مدخل إلى العهد الجديد": (يظهر العهد الجديد بمظهر مجموعة مؤلفة من سبعة وعشرين سِفرًا مختلفة الحجم، وُضعت كلها باليونانية، ولم تجر العادة أنْ يُطلق على هذه المجموعة عبارة "العهد الجديد"، إلّا في أواخر القرن الثاني، فقد نالت الكتابات التي تؤلفه رويدًا رويدًا منزلة رفيعة، حتى أصبح لها من الشأن في استعمالها ما لنصوص العهد القديم

(١) مخطوطات الكتاب المقدّس بلغاته الأصلية، ١٠، نقلًا عن كتاب جدلية الإلحاد والدين، الشيخ علي آل محسن ٣٣٠.

(٢) قصة الحضارة، ويل ديورانت ١١/ ٢٠٧.

التي عدّها المسيحيون زمنًا طويلاً كتابَهم المقدّس الأوحد)[١].

فالكتب السماوية محفوظة، لكن عدم حفظ المؤتمنين عليها للأمانة أدّى إلى حصول ما فيها من اختلاف وتحريف وترّهل في البيان وغير ذلك مما يُدركه القارئ المتأمل[٢]، وهو ما يُظهر الفرق الواضح بينها وبين القرآن الكريم، فالتحريف من فعل العباد، وليس من الله تعالى حتى يُسأل عن سبب عدم حفظه.

ومن الواضح أنَّ الله تعالى لم يجبر المطيع على الطاعة، ولا العاصي على المعصية، بل أعطى لعباده حرية الاختيار، فما يختاره الإنسان يُنسب إليه دون غيره، وسيُحاسب عليه هو دون غيره، فيُجازى بموجب عمله؛ وذلك لارتباط قانون الجزاء بعمل الإنسان نفسه، وهو غير مجبور على شيء، فيلزمه أنْ يُحسن الاختيار، ويتدارك التقصير بالتصحيح، واتباع ما حثَّ الأنبياء والرسل عليه من الطاعة، والابتعاد عما حذروا منه؛ حيث بيّنوا حدود المسار الصحيح، بما أوضح أنَّ سلوك غيره من المسارات، لا تؤدي بالإنسان إلى الهدف المرجو، فلو أخطأ أحد ولم يصحح خطأه، كان هو المقصّر دون غيره.

وبالتالي فلا يُنسب تحريفُ المحرّفين لله تعالى؛ لأنَّ ما قاموا به من

(١) الكتاب المقدّس، العهد الجديد ٧، ط:٣، دار المشرق – بيروت.

(٢) ينظر: الهدى إلى دين المصطفى، الشيخ محمد جواد البلاغي ١-٢؛ حيث عرَضَ لشواهد من اختلاف الترجمات بما يشهد بالتحريف.

تحريف كان بمحض إرادتهم، ولم يُجبروا عليه؛ إذ لو كان الإنسان مجبورًا على شيء، للزم تساوي الجميع بالطاعة أو المعصية، لكن الواقع يدل على اختلاف العباد حسب ما اختاروا من الطاعة أو المعصية؛ إذ يوجد مَنْ استعمل عقله وأعضاء بدنه في الطاعة، ولم يعصِ الله تعالى، بما يدل – عقلاً- على أنَّ الإنسان غير مجبور، بل هو قادر على توظيف فرصته في هذه الحياة لما ينفعه في الآخرة.

كما دلَّ على أنْ الإنسان غير مجبور: قوله تعالى: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾﴾[1].

وفقنا الله تعالى جميعًا للإفادة من الوقت والجهد بما ينفعنا في الدنيا والآخرة، **وفي الختام** أتمنّى لكم أعزائي السلامة والكرامة، وأُرحب بما لديكم من أسئلة أخرى، **ودمتم بخير.**

النجف الأشرف - العراق
١٤٤١/١٢/٢٤هـ، ٢٠٢٠/٨/١٤م
محمد صادق الخرسان

(١) سورة النجم، الآيات ٣٨- ٤٢.

فهرست الأسئلة

الحلقة الأولى.......... **٥**

١. (ما هو الله؟).......... ٨

٢. (لماذا خلَقَنَا الله؟).......... ٩

٣. (إنْ كان الله يعلم الغيب، فلماذا خلَقَنَا وهو يعلم مَنْ في الجنة، ومَنْ في النار؟).......... ١٢

٤. (إنَّ الله يعلم الغيب، والإنسان يرتكب المحرمات، فلماذا لا يسمح للإنسان بارتكاب المحرّمات؟).......... ١٥

٥. (ذُكِرَ في القرآن أنَّ السماء تسقط على الأرض، فكيف تسقط السماء الكبير على حبة غبار مثل الأرض؟).......... ١٥

٦. (كيف ثبت وجود الإمام المهدي في القرآن؟).......... ١٧

٧. (بمَنْ تزوّج قابيل وهابيل، وقد كانا من عائلة واحدة؟).......... ١٩

٨. (ما أسباب تحريف التوراة والإنجيل؟، وهل توجد النسخ الأصلية؟، وكيف نثبت أنها محرّفة؟).......... ١٩

٩. (من أين وُجد الله؟، أو مَنْ خلَقَهُ؟).......... ٢٠

***

الحلقة الثانية.......... **٢٧**

١٠. (من أين يأتي الله بهذه النِعم؟).......... ٢٩

١١. (ما هو هدفنا بعد الجنة؟).......... ٣٠

١٢. (كيف نردّ على المُشكلين علينا بهذا الزمان بخصوص قضية التوحيد والإمامة والتقليد والشعائر الحسينية وقضايانا العقائدية التي نرتكز عليها؟، وما هي المصادر التي تنصحونا بالاطلاع عليها سواء كانت نصيّة أو إلكترونية، ومشاهدة قنوات على اليوتيوب؟)..... ٣١

١٣. (كيف نعلم أننا نسير على الصراط المستقيم؟، أي كيف نثبت أنَّ العقيدة التي نؤمن بها صحيحة؟)..... ٣٣

١٤. (ما هي المعلومات الأساسية التي إذا اكتسبناها يمكننا الرد بها على أي معارض أو مشكك مهما كانت صيغة سؤاله)..... ٣٤

١٥. (ذكر في القرآن الآية: "تبارك الله أحسن الخالقين"، فهل يوجد خالقون آخرون غير الله ليكون الله عزّو جلّ أحسنهم؟) ٣٥

١٦. (لماذا لم يحفظ الله بقية الكتب السماوية كما حفظ القرآن؟)..... ٣٧

***